الفصل التاسع

كيف تختتم الخطاب...؟

obeikan.com

كيف تختتم الخطاب...؟

هل تود أن تعلم فى أية أجزاء من خطابك تظهر عدم تجربتك ومهارتك وبراعتك...؟ فى الافتتاحية، وفى الخاتمة. هناك قول قديم عن المسرح يتحدث بالطبع عن الممثلين، وهو: «تعرفهم من خلال دخولهم وخروجهم».

من خلال البداية والنهاية! فهما من أصعب الأشياء التى تقوم بها خلال أى نشاط،- فمثلاً، فى الوظيفة الاجتماعية، أليس من أصعب الأعمال الدخول برشاقة والخروج برشاقة...؟ وخلال مقابلة عمل، أليس من أصعب المهمات أسلوب التقرب والانتهاء الناجح...؟.

إن الخاتمة فى الحقيقة هى أكثر النقاط إستراتيجية فى الخطاب. فما يقوله الإنسان فى النهاية، أى ما يبقى يرن فى آذان المستمعين ـ هو ربما الكلمات التى تبقى عالقة فى أذهانهم. لكن المبتدئين نادراً ما يقدرون أهمية هذه الزاوية المفيدة. وغالباً ما تُترك خاتمتهم بشكل لا يقبل به أحد.

فما هى أخطاءهم الشائعة...؟ لنناقش القيل منها ونبحث عن علاج لها.

■ **أولاً**: هناك من ينهى خطابه بـ: «هذا كل ما أملك قوله حول الموضوع، أظن أن من الأفضل أن أتوقف».

هذه ليست بنهاية. بل هى غلطة تفضح المبتدئ، وهى غير مغتفرة تقريباً. فإن كان ذلك كل ما يمكنك قوله، لِمَ لا تتوقف وتعود إلى مقعدك من دون أن تتكلم عن التوقف؟

وهناك الخطيب الذى يقول كل ما عليه قوله، لكنه لا يدرى كيف

يختتم خطابه. أعتقد أن جوش بيلينغ هو من نصح الناس بالإمساك بالثور من ذنبه. بدلاً من قرنيه؛ لأن من السهل الإفلات منه. هذا الخطيب أمسك الثور من قرنيه، ويريد التخلص منه، لكن برغم محاولاته، لن يستطيع التعلق بسياج أو شجرة. وهكذا يبقى ضمن الدائرة، يكرر نفسه، ويخلف انطباعاً سيئاً.

ما هو العلاج...؟ يجب أن يُخطط للخاتمة مسبقاً، أليس كذلك...؟ فهل من الحكمة أن تحاول إنشائها، وأنت تواجه الجمهور فيما أنت واقع تحت ضغط وتأثير الخطاب، فيما ذهنك مشغول بما تقوله...؟ ألا يقترح عليك المنطق فعل ذلك بهدوء ورصانة مسبقاً...؟.

إن الخطباء المشهورين أمثال وبستر وبرايت وغلادستون، رغم معرفتهم الواسعة باللغة الإنكليزية، شعروا أن من الضرورى كتابة وحفظ الكلمات المناسبة لخاتمتهم.

فإذا ما اتبع المبتدئ خطواتهم، فنادراً ما يندم على ذلك. ويجب أن يدرك بالتحديد الأفكار التى ينهى بها خطابه. ويجب أن يكرر خاتمته عدة مرات، من دون أن يستخدم بالضرورة الكلمات ذاتها خلال كل مرة، بل أن يترجم الأفكار إلى كلمات.

إن الخطاب المرتجل، خلال عملية الأداء، يجب أن يُعدل فى بعض الأحيان، وأن يقطع ويُنسق ليناسب التطورات غير المرتقبة، ويتناغم مع انفعالات المستمعين؛ لذلك من الحكمة أن تخطط لخاتمتين أو ثلاثة. فإن لم تتناسب إحداها، تتناسب الأخرى.

بعض الخطباء لا يتوصل إلى النهاية أبداً. ففى وسط رحلته، يبدأ بالتدخين والإختلال كالمحرك عندما يفرغ من الزيت. وبعد عدة اندفاعات

يائسة؛ يتوقف تماماً وينهار. إنه بحاجة إلى تحضير أفضل وإلى المزيد من التدريب والمزيد من الزيت.

يتوقف الكثيرون من المبتدئين فجأة. وطريقتهم فى الاختتام تنقصها السلاسة واللمسة الأخيرة. وبكلمات أوضح: ليست لديهم أية خاتمة. بل هم يتوقفون فجأة، وبسرعة؛ فتأتى النتيجة غير سارة وغير متقنة. وهى تبدو وكأن صديقاً توقف فجأة، أثناء محادثة اجتماعية، وتسلل من الغرفة من دون أن يخرج بلباقة.

ما من خطيب أدنى من لنكولن اقترف هذا الخطأ فى المسودة الأصلية لخطابه الافتتاحى الأول. أُلقى هذا الخطاب فى وقت عصيب. فقد كانت غيوم التفرقة والكراهية السوداء تعصف وتتجمع فوق الرؤوس. وبعد عدة أسابيع، أريقت الدماء وساد الخراب فى الوطن. وعندما خاطب لنكولن، سكان الجنوب، كان يقصد أن ينهى خطابه على هذا النحو:

«إن مسألة الحرب الأهلية الراهنة، هى بأيديكم يا رفاقى المواطنين، وليست بيدى. إن الحكومة لن تهاجمكم. لا يمكنكم أن تتنازعوا من دون أن تكونوا أنتم المهاجمين. وليس لديكم وعداً مسجلاً فى السماء للقضاء على الحكومة، فيما لديَّ وعد أهم، أحافظ عليه وأحميه، وأدافع عنه. باستطاعتكم مهاجمته. ولن أستطيع التملص من الدفاع عنه. إن مسألة السلام والحرب هى بين أيديكم، وليست بين يدى».

بعد ذلك قدم خطابه إلى السكرتير سيوارد، الذى أشار إلى أن النهاية فظة جداً، ومفاجئة ومثيرة فحاول أن يكتب هو الخاتمة، وفى الواقع، كتب اثنتين. وقد قبل لنكولن واحدة منها واستخدمها بعدما أجرى عليها تعديلاً.

طفيفاً. فكانت النتيجة أن فقد خطابه الافتتاحى الأول، الفظاظة، وعنصر المفاجأة المثيرة، وبدا معتدلاً وشاعرياً:

أكـره أن أتوقف. فنحن لسنا أعـداء، بل أصـدقـاء. ويجب ألا نكون أعداء. ومع أن عواطفنا قد توترت، فلا ينبغى أن تتحطم روابط الألفة بيننا. ولتعزف أوتار الذاكرة الخفية، الممتدة من كل ساحة معركة وقبر وطنى، إلى كل قلب حى ومـوقـد فى هذه الأرض الشـاسـعـة، أنشـودة الاتحـاد لدى ملامستها ثانية، مثلما تفعل عندما يلامسها أفضل ملاك لدينا».

كيف يستطيع المبتدئ أن يولد الشعور الملائم فى نهاية خطابه؟ هل من خلال قواعد آلية...؟.

كلا، فإن ذلك كـالتراث، دقيق جداً ولا يمكن معالجته كـذلك. وهو مسألة شعور ووحى تقريباً. وعندما يشعر الخطيب ؟ أن ذلك تم بشكل متناغم ولائق، فكيف يمكنه أن يفعل ذلك بنفسه...؟.

لكن هذا الشعور يمكن أن ينمو، ويمكن لهذه التجربة أن تتطور إلى حدٍ ما، من خلال دراسة الطرق التى توصل إليها الخطباء المشهورين. هنا مثال، خاتمة خطاب ألقاه أمير وايلز أمام النادى الملكى فى تورنتو:

«أخشى أيها السادة أن أكون قد ابتعدت عن تحفظاتى وتحدثت عن نفسى القدر الكثير. لكننى أردت أن أخبركم، كأعظم جمهور سنحت لى الفرصة التحدث إليه فى كندا، عما أشعر به تجاه المسئولية التى يفرضها علىَّ مركزى ومسئوليتى. يمكننى فقط أن أؤكد أننى سأسعى دائما للمحافظة على المسئولية العظيمة وأن أكون جديراً بثقتكم».

إن الرجل الأعمى الذى يستمع إلى هذا الخطاب؛ سيشعر أنه انتهى. فهو

لم يُترك يتأرجح فى الهواء كالحبل المتدلى. ولم يترك بإهمال ودون إتقان، بل إنه تمَّ وانتهى.

● **لخص أفكارك.**

إن الخطيب ميال لتغطية أفكار كثيرة حتى فى خطاب قصير تتراوح مدته بين ثلاث أو خمس دقائق. ومع ذلك، قلة من الخطباء تدرك ذلك. فهى تناقد لافتراض أن تلك الأفكار واضحة وجلية فى أذهانها، وبالتالى هى واضحة فى أذهان المستمعين. لكن الأمر يختلف كلياً؛ لأن الخطيب كان قد فكَّر ملياً بما سيقوله. لكن أفكاره كلها هى جديدة بالنسبة للمستمع. وبعضها يعلق فى الذهن، لكن معظمها يتدحرج باضطراب. والمستمع هو عرضة «لأن يتذكر مجموعة أشياء، ولكن ليس شيئاً واحداً بوضوح». مثلما قال إياغو.

هنا مثل جيد، الخطيب هو منظم سير فى أحد خطوط شيكاغو الحديدية:

«باختصار أيها السادة، إن تجربتنا الخلفية بجهاز الخطوط، وتجربتنا فى استخدامها فى الشرق والغرب والشمال ـ والمبادئ الفعالة الكامنة وراء تشغيلها والمال الذى جرى توفيره فى سنة واحدة من خلال الحؤول دون التحطم والحوادث، أثارنى بصدق للإشادة بتجهيزات فرعنا الجنوبى الحالية».

هل تلاحظ ما الذى فعله؟... تستطيع أن ترى ذلك وتلمسه من دون حتى أن تستمع إلى بقية الخطاب. فقد جمع فى جمل قليلة، فى بضع كلمات، جميع النقاط التى ذكرها فى خطابه.

● **خاتمة مرحة.**

قال جورج كوهان: «اتركهم دائماً يضحكون عندما تقول وداعاً». إذا كانت لك القدرة على فعل ذلك، يكون الأمر جيداً. لكن كيف...؟ تلك هى المسألة، كما قال هاملت. وعلى كل إنسان أن يفعل ذلك بطريقته الخاصة.

فلما يتوقع المرء أن يغادر لويد جورج مجمع الميثودى ضاحكاً بعدما يتحدث إليهم عن موضوع جون ويلسى تومب المتزمت. لكن لاحظ كيف يتدبر ذلك بذكاء.... لاحظ أيضاً كيف ينتهى الخطاب بجمال وسلاسة...

«أنا سعيد، لأنكم تعهدتم إصلاح ضريحه. فقد كان رجل يمقت بشدة غياب النظافة والترتيب. وأعتقد أنه من قال: لنمنع أن يرى أحد ميثودى فقيراً. والأمر يعود إليه، إذ لم يرى واحداً منهم. ومن غير اللياقة أن تتركوا ضريحه من دون إتقان. تذكر ما قاله إلى فتاة من دربى شاير، كانت قد هرعت إلى الباب، عندما كان ماراً، وصاحت: «بارك الله فيك يا سيد وسلى». فأجاب: «أيتها الشابة، ستكون مباركتك أكثر قيمة، لو أن وجهك ورداءك نظيفان. هذا هو شعوره نحو الاتساخ. فلا تتركوا قبره وسخاً. فإذا مر من هنا، يتألم من ذلك أكثر من أى شيء. لذا اسعوا إلى ذلك، فهو مزار تذكارى مقدس. وهو فى عهدتكم».

● **الاختتام بمقتطفات شعرية.**

ليس هناك خاتمة أكثر استحساناً من تلك التى تأتى مرحة أو شعرية. وفى الحقيقة، إذا استطعت الحصول عى قطعة شعرية ملائمة لنهايتك، يكون الأمر مثالياً. فهى تمنحك النكهة المطلوبة، وستمنحك الوقار والتفرد والجمال.

اختتم السير هارى لودر خطابه أمام مندوبى نوادى الروترى الأميركية، أثناء مؤتمرهم فى أدنبورغ على هذا النحو:

عندما تعودون إلى منازلكم، ليرسل كل منكم بطاقة سياحية لى، وسأرسل لكم واحدة إذا لم تفعلوا أنتم ذلك. وستعلمون بسهولة أنها منى لأننى لا ألصق عليها طابعاً. لأننى سأكتب شيئاً عليها وهو:

فصول تأتى وفصول تغيب.

كل شيء يذوى فى وقته، لكن هناك شيء مازال يزهر كالندى، إنه الحب والإخلاص اللذان أكنهما لكم».

هذه القطعة الشعرية تناسب شخصية هارى لودر، وما من شك فى أنها تناسب نبرة خطابه. لذلك كانت ممتازة. ولو استخدمها شخص حازم متزمت فى نهاية خطاب رسمى، لكانت غير ملائمة على الإطلاق، حتى أنها لتبدو فى غاية السخف. وكلما مارست تعليم فن الخطابة؛ كلما اتضحت لى الرؤية والسرعة فى الشعور.

أن من المستحيل تقديم قواعد عامة تناسب جميع المناسبات. فالأمر يعتمد كثيراً على الموضوع، والزمان، والمكان، وعلى الإنسان نفسه. «فعلى كل إنسان أن يسعى لخلاصه» مثلما قال القديس بول.

كنت ضيفاً خلال حفل عشاء وداعى، جرى تكريماً لرحيل رجل اختصاصى من نيويورك. وقد نهض عدة خطباء لتحية وإطراء صديقهم الراحل، متمنين له النجاح فى حقل نشاطه الجديد، من بين تلك الخطب، انتهى خطاب واحد بأسلوب لا ينسى، وهو الذى انتهى بقطعة شعرية، فالخطيب، مع العاطفة فى صوته، التفت مباشرة نحو الضيف المغادر صائحاً:

« والآن، وداعاً، أتمنى لك حظاً سعيداً. أتمنى لك كل أمنية طيبة تتمناها لنفسك ».

إنك لمست قلبى بأخلاقك الحميدة، وتصرفاتك النبيلة:

إنى أدعو أن يشملك سلام الإيمان، وأن تحوطك عناية رب العالمين فى كل أيامك.

إنك لمست قلبى بأخلاقك الحميدة وتصرفاتك النبيلة، فلتذهب فى رعاية الله.

تحدث السيد ج. أ. ابوت- نائب رئيس ل. أ. د. موتورز كومبانى فى بروكلين- إلى موظفى شركته حول موضوع الإخلاص والتعاون.

وقد أنهى خطابه بهذه الكلمات القيمة:

« والآن ها هو قانون الحياة، القديم والحقيقى؛ والإنسان الذى يسير عليه يعيشُ بسعادة، أما الذى يخالفه فيبقى وحيداً ».

إن سعادة الفرد فى سعادة الجماعة، وتقدم الإنسان رُهن بتقدم المجتمع الذى يعيش فيه.

● **الـذروة.**

إن الذروة هى طريقة شائعة للاختتام. ومن الصعب تأليفها، وهى ليست بخاتمة لجميع الخطباء، ولا لجميع المواضيع. لكن عندما تؤلف بإتقان، تكون ممتازة. فهى تعمل كقمة ترتفع جملها القوية تدريجياً، والمثال الجيد عن الذروة نجده فى خاتمة الخطاب الذى فاز بالجائزة الأولى، والذى يدور حول فيلادلفيا الذى مر معنا فى الفصل الثالث.

لقد استخدم لنكولن الذروة فى تحضير ملاحظاته لمحاضرة تدور حول شلالات نياغارا. لاحظ كيف أن كل مقارنة تأتى، أقوى من السابقة، وكيف يحصل على نتيجة تصاعدية، بمقارنة عمرها بعمر كولومبوس، والمسيح

وموسى، وآدم، إلى ما غير ذلك:

«يعود ذلك إلى الماضى الغابر، عندما اكتشف كولومبوس هذه القارة ـ عندما تعذب المسيح على الصليب ـ عندما قاد موسى بنى إسرائيل عبر البحر الأحمر ـ بل حتى عندما خرج آدم لأول مرة من أيدى بارئه، عندئذٍ كانت شلالات نياغارا تخر.

إن عيون العمالقة البارزين الذين تملأ عظامهم ركام أميركا، كانت قد حدقت بنياغارا، مثلما تفعل أعيننا اليوم. إنها تعاصر الجنس البشرى الأول، بل هى أقدم من الإنسان الأول، نياغارا هى قوية ونقية اليوم مثلما كانت منذ عشرة آلاف سنة.

إن المومياء والمستودون (الحيوان البائد الشبيه بالفيل)، اللذان ماتا منذ زمن بعيد، ولا تدل على وجودهما سوى بقاياها، كانا قد حدقا بنياغارا ـ التى لم تهدأ أو تجف أو تتجمد أو تستكين للحظة، منذ ذلك الزمن السحقيق».

● **حين تشرف على الانتهاء.**

اقتنص وابحث وجرّب حتى تحصل على نهاية وبداية جيدتان. بعدئذٍ اربطهما معاً.

إن الخطيب الذى لا يصيغ خطابه، ليتناسب مع روح العصر السائدة، والمتميزة بالسرعة، لن يكون موضع ترحيب، وفى بعض الأحيان، يثير كراهية الآخرين.

حتى إن القديس سول من تارسوس أخفق فى هذا المجال. ففى ذات يوم، وبينما هو يعظ، كبار أحد المستمعين، واسمه إيتكوس وسقط من النافذة كاسراً عنقه. وربما لم يتوقف سول عن خطبته، فمن يدرى ذلك...؟ وأذكر خطيباً، وهو طبيب، وقف مرة فى نادى جامعة بروكلين. أثناء مأدبة عشاء

طويلة تحدث خلالها عدد من الخطباء.

كانت الساعة الثانية صباحاً حين جاء دور ذلك الطبيب فى الكلام. ولكن هل ألقى بضعة جمل، وتركنا نعود إلى منازلنا...؟ كلا. بل ألقى خطاباً دام خمساً وأربعين دقيقة عن تشريح الأحياء ومناهضته لذلك، وقبل أن يصل إلى منتصف خطابه، رغب المستمعون لو أنه يقع، مثل إيتيكوس، من النافذة، ويحطم شيئاً، أى شيء، حتى يصمت.

إن أعظم خطاب ألقاه المسيح، وهو (العظة على الجبل)، يمكن أن تُكرر بخمس دقائق. وخطاب لنكولن فى غيتسبورى يتألف من عشر جمل فقط. وباستطاعة المرء أن يقرأ قصة الخلق فى التوراة، بوقت أقل مما يحتاجه لقراءة قصة جريمة فى الصحيفة الصباحية. لذلك كن مختصراً....

كتب الدكتور جونسون كتاباً عن شعوب أفريقيا البدائية. فقد عاش بينهم، وراقبهم طيلة تسع وأربعين سنة. وهو يقول أنه عندما يلقى خطيب خطاباً طويلاً جداً خلال اجتماع القرية، فإن الجمهور يسكته بالصراخ: كفى... كفى...

ويقال أن قبيلة أخرى تسمح للخطيب بالتحدث، طالما يستطيع وهو مرتكز على ساقٍ واحدة. وعندما تلمس مقدمة ساقه الأخرى الأرض؛ يتوجب عليه التوقف عن الكلام.

ورغم أن الجمهور العادى ربما يكون أكثر تهذيباً وتماسكاً، إلا أنه يكره الخطب الطويلة أيضاً.

☆☆☆☆☆